

60041 - حديث توسل آدم بالنبي وتفسير: (وابتغوا إليه الوسيلة)

السؤال

أرجو تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) المائدة/35، وذلك ردًا على الصوفية في التوسل، حيث إن بعضهم فسرها بجواز التوسل بالأئباء والأولياء، أما بالنسبة لحديث آدم لما اقترف الخطيئة فيقولون: إن البيهقي صحيح الحديث وإن الذهبي أثني على هذا الكتاب.

الإجابة المفصلة

أولاً:

حديث اقتراف آدم للخطيئة وتوسله بالنبي صلى الله عليه وسلم حديث موضوع مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آدم عليه السلام.

وقد سبق بيان ذلك في جواب السؤال رقم (34715) ونقلنا عن أهل العلم تبيينهم لكتبه، ومن هؤلاء العلماء الإمام الذهبي رحمة الله والبيهقي رحمة الله لم يرو الحديث في سنته، بل رواه في "دلائل النبوة" (5/489) وضعيقه، فقد قال بعد سياقه للحديث: "تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف".

ومما يرجح نكارة المتن وبطلانه: أن الدعاء الذي قيل الله به توبة آدم هو ما قاله الله في سورة الأعراف: (قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفَسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنْ كُوئَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) الأعراف/23، فهذا هو الدعاء الذي دعا به آدم وحواء، وفيه دعاء الله تعالى وحده، والتلوين بأسمائه وصفاته، والتلوين بذكر حالهم، وهي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه ثم قالها فتاب الله تعالى عليه، كما قال تعالى: (فَتَأْلَقَ آدُمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ) البقرة/37.

ثانياً:

أما تفسير لفظ "الوسيلة" في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) المائدة/35: فهي الطريق الموصلة إلى الله تعالى، ولا طريق موصلة إليه عز وجل إلا الطريق التي يحبها الله ويرضى عنها، وتكون بطاعته وترك معصيته.

قال ابن كثير رحمة الله:

"يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا قرنت بطاعته كان المراد بها الانكفاء من المحارم وترك المنهيّات، وقد قال بعدها: (وابتغوا إليه الوسيلة) قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس: أي: القرية، وكذا قال مجاهد وأبو وائل والحسن

وقتادة وعبد الله بن كثير والسدسي وابن زيد وغير واحد، وقال قتادة : أي : تقرروا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه ، وقرأ ابن زيد : (أولئك الذين يدعون إلى ربهم الوسيلة) ، وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه .

والوسائل والوسيلة : هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود " انتهى .

"تفسير ابن كثير" (53/2)

وقال الشنقيطي رحمه الله :

" اعلم أن جمهور العلماء على أن المراد بالوسيلة هنا هو القربة إلى الله تعالى بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه على وفق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بإخلاص في ذلك لله تعالى ؛ لأن هذا وحده هو الطريق الموصلة إلى رضي الله تعالى ، ونيل ما عنده من خير الدنيا والآخرة .

وأصل الوسيلة : الطريق التي تقرب إلى الشيء ، وتوصـلـ إـلـيـهـ وـهـيـ الـعـلـمـ الصـالـحـ بـإـجـمـاعـ الـعـلـمـاءـ ؛ـ لـأـنـهـ لـاـ وـسـيـلـةـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ إـلـاـ بـاتـبـاعـ رـسـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ وـعـلـىـ هـذـاـ فـالـآـيـاتـ الـمـبـيـنـةـ لـلـمـرـادـ مـنـ الـوـسـيـلـةـ كـثـيرـةـ جـداـ كـقـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ (ـ وـمـاـ ءـاتـيـكـمـ أـلـرـسـوـلـ فـخـدـوـهـ وـمـاـ نـهـاـكـمـ عـنـهـ فـأـنـتـهـوـاـ)ـ ،ـ وـقـوـلـهـ :ـ (ـ قـلـ إـنـ كـنـتـمـ تـحـبـوـنـ اللـهـ فـأـتـبـعـوـنـيـ)ـ ،ـ وـقـوـلـهـ :ـ (ـ قـلـ أـطـيـعـوـاـ اللـهـ وـأـطـيـعـوـاـ الرـسـوـلـ)ـ ،ـ إـلـىـ غـيـرـ ذـلـكـ مـنـ الـآـيـاتـ .ـ

وروبي عن ابن عباس رضي الله عنـهـاـ أـنـ الـمـرـادـ بـالـوـسـيـلـةـ الـحـاجـةـ ...

وعلى هذا القول الذي روـيـ عنـ ابنـ عـبـاسـ فـالـمعـنىـ :ـ (ـ وـأـنـتـغـوـاـ إـلـيـهـ الـوـسـيـلـةـ)ـ :ـ وـاـطـلـبـوـاـ حـاجـتـكـمـ مـنـ اللـهـ ؛ـ لـأـنـهـ وـحـدـهـ هـوـ الـذـيـ يـقـدـرـ عـلـىـ إـعـطـائـهـاـ ،ـ وـمـاـ يـبـيـنـ مـعـنـىـ هـذـاـ الـوـجـهـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ (ـ إـنـ أـلـذـيـنـ تـعـبـدـوـنـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ لـاـ يـمـلـكـوـنـ لـكـمـ رـزـقـاـ فـأـبـتـغـوـاـ عـنـدـ اللـهـ أـلـرـزـقـ وـأـعـبـدـوـهـ)ـ ،ـ وـقـوـلـهـ :ـ (ـ وـأـسـأـلـوـاـ اللـهـ مـنـ فـضـلـهـ)ـ ،ـ وـفـيـ الـحـدـيـثـ :ـ (ـ إـذـ سـأـلـتـ فـاسـأـلـ اللـهـ)ـ .ـ

ثم قال الشنقيطي رحـمـهـ اللـهـ :ـ التـحـقـيقـ فـيـ مـعـنـىـ الـوـسـيـلـةـ هـوـ مـاـ ذـهـبـ إـلـيـهـ عـامـةـ الـعـلـمـاءـ مـنـ أـنـهـ التـقـرـبـ إـلـىـ اللـهـ تـعـالـىـ بـالـإـلـاـخـالـصـ لـهـ فـيـ الـعـبـادـةـ ،ـ عـلـىـ وـفـقـ مـاـ جـاءـ بـهـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ وـتـفـسـيـرـ ابنـ عـبـاسـ دـاـخـلـ فـيـ هـذـاـ ؛ـ لـأـنـ دـعـاءـ اللـهـ وـالـابـتـهـالـ إـلـيـهـ فـيـ طـلـبـ الـحـوـائـجـ مـنـ أـعـظـمـ أـنـوـاعـ عـبـادـتـهـ التـيـ هـيـ الـوـسـيـلـةـ إـلـىـ نـيـلـ رـضـاهـ وـرـحـمـتـهـ .ـ

وبهذا التـحـقـيقـ تـعـلـمـ أـنـ مـاـ يـزـعـمـهـ كـثـيرـ مـنـ مـلاـحـدـةـ أـتـبـاعـ الـجـهـالـ المـدـعـيـنـ لـلـتـصـوـفـ مـنـ أـنـ الـمـرـادـ بـالـوـسـيـلـةـ فـيـ الـآـيـةـ الـشـيـخـ الـذـيـ يـكـونـ لـهـ وـاسـطـةـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ رـبـهـ :ـ أـنـهـ تـخـبـطـ فـيـ الـجـهـلـ وـالـعـمـىـ وـضـلـالـ مـبـيـنـ ،ـ وـتـلـاـعـبـ بـكـتـابـ اللـهـ تـعـالـىـ ،ـ وـاتـخـاذـ الـوـسـائـطـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ مـنـ أـصـوـلـ كـفـرـ الـكـفـارـ ،ـ كـمـاـ صـرـحـ بـهـ تـعـالـىـ فـيـ قـوـلـهـ عـنـهـمـ :ـ (ـ مـاـ نـعـبـدـهـمـ إـلـاـ لـيـقـرـبـوـنـ إـلـىـ اللـهـ زـلـقـ)ـ وـقـوـلـهـ :ـ (ـ وـيـقـرـبـوـنـ هـلـوـلـ شـفـعـوـنـاـ عـنـدـ اللـهـ قـلـ أـتـبـئـوـنـ اللـهـ بـمـاـ لـاـ يـعـلـمـ فـيـ السـمـوـتـ وـلـاـ فـيـ الـأـرـضـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ عـمـاـ يـشـرـكـوـنـ)ـ ،ـ فـيـجـبـ عـلـىـ كـلـ مـكـلـفـ أـنـ يـعـلـمـ أـنـ طـرـيقـ الـمـوـسـلـةـ إـلـىـ رـضـيـ اللـهـ وـجـنـتـهـ وـرـحـمـتـهـ هـيـ اـتـبـاعـ رـسـوـلـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ،ـ وـمـنـ حـادـ عـنـ ذـلـكـ فـقـدـ ضـلـ سـوـاءـ السـبـيـلـ ،ـ (ـ لـيـسـ بـأـمـلـيـكـمـ وـلـاـ أـمـانـيـ أـهـلـ الـكـتـابـ مـنـ يـعـمـلـ سـوـءـاـ يـجـزـ بـهـ)ـ .ـ

وهذا الذي فسرنا به الوسيلة هنا هو معناها أيضاً في قوله تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) ، وليس المراد بالوسيلة أيضاً المنزلة التي في الجنة التي أمرنا صلى الله عليه وسلم أن نسأل له الله أن يعطيه إياها ، نرجو الله أن يعطيه إياها ؛ لأنها لا تنبغي إلا لعبد ، وهو يرجو أن يكون هو " انتهى باختصار .

"أضواء البيان" (86-2).

والله أعلم .